

بسم الله الرحمن الرحيم
شرح رياض الصالحين
شرح مقدمة الباب

الشيخ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:
فهذا باب جديد من هذا الكتاب المبارك، وهو: باب إكرام أهل بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وبيان فضلهم.

وأهل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الإطلاق تارة يطلق ويراد به معنى ضيق، وهم كما جاء في حديث الكساء: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، والله -عز وجل- قال في سورة الأحزاب: **{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ}** [الأحزاب: ٣٣].

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- وضع هؤلاء جميعاً، وقال: **((اللهم هؤلاء أهل بيتي فطهرهم تطهيراً))**^(١)، وهذا أضيق إطلاقات أهل البيت.

ويطلق بإطلاق أوسع منه: وهم الذين مُنعوا من الصدقة، يعني من الزكاة، ولا تحل لهم أيضاً الصدقة.

وهم أهل أربعة أبيات: آل علي، وآل عباس، وآل جعفر، وآل عقیل.

أربعة أبيات، هذا الإطلاق الثاني أوسع من الأول.

والإطلاق الثالث: يشمل أيضاً زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم-، وذلك أن الله -تبارك وتعالى- في سورة الأحزاب حينما أدب أمهات المؤمنين، وقال: **{يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ نِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَنَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا}** [الأحزاب: ٣٢]. إلى آخر الآيات، ثم قال بعده: **{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}** [الأحزاب: ٣٣].

فهذه في زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم-، والخطاب كان لهن من أوله إلى آخره، فأزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- داخلات في أهل بيته في هذا الإطلاق.

وعلى كل حال إذا قيل: باب إكرام أهل بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدخل فيه زوجاته، ويدخل فيه هؤلاء جميعاً.

يقول: قال الله تعالى: **{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}** [الأحزاب: ٣٣].

الرجس هو: النجس، ويقال ذلك للنجاسات الحسية، ولكل دنس حسي يمكن أن يلوث ثياب الإنسان أو بدنه، وكذلك يقال لكل دنس يلوث عرضه.

والرجس هنا **{لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ}**، أي: كل ما يلوث العرض، وكل ما يغض من مكانة الإنسان، ويسيء إلى سمعته ونحو ذلك، فهذا كله من الرجس.

^١ - أخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب: ومن سورة الأحزاب (٣٥١/٥)، رقم: (٣٢٠٥).

والإرادة هنا في هذه الآية هي إرادة شرعية، وليست إرادة كونية **{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ}**، أي: إرادة شرعية بهذه التشريعات التي شرعها، والآداب التي فصلها وبينها.

ومعنى كون هذه الإرادة شرعية أن ذلك لا يلزم منه أن تتحقق العصمة، وألا يقع منهم خطأ، ولا يقع منهم مخالفة، فإنهم كغيرهم من البشر يخطئون ويذنبون، ومنهم من يوفق للتوبة، ومنهم من قد يستمر على إساءته، والموفق من وفقه الله -تبارك وتعالى.

وليست هذه الإرادة إرادة كونية كما يزعم بعض الغلاة الذين يقولون: إنهم من المعصومين، وإنه لا يتطرق إليهم خلل، ولا خطأ، فهذا منشأ قولهم في هذه المسألة.

وقال تعالى: **{وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}** [الحج: ٣٢]. الشعائر -أيها الإخوان- هي: كل الأمور الظاهرة، يعني: هذه الشريعة فيها شعائر، وفيها أمانات، فالشعائر مثل: الأذان، مثل أعمال الحج الظاهرة، مثل صلاة الجماعة، مثل الأعمال الدينية، إطلاق اللحية -مثلاً-، هذا الحجاب، هذا كله من شعائر الله -عز وجل.

والأمانات مثل: الوضوء، مثل الصيام، هذه أمور النيات هذه لا يعلم عنها إلا الله -تبارك وتعالى. فلو أن الإنسان صلى من غير طهارة لم يعلم به أحد، لو أنه كان مفطراً في رمضان لم يعلم به أحد، فهذه أمانات.

فشعائر الدين الذي يعظمها فإن ذلك يكون نابغاً، وناتجاً من تقوى راسخة في قلبه. ومن تعظيم شعائر الله: تعظيم البدن والهدي الذي يساق إلى الكعبة. ومن تعظيم شعائر الله -عز وجل-: تعظيم أهل بيت الله رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ومن يمد إليه بصلة.

فهؤلاء أهل البيت -المؤمنون منهم- نحبهم محبتين:

المحبة الأولى: محبة لإيمانهم.

والمحبة الثانية: هي محبة لقربهم من رسول الله -عليه الصلاة والسلام.

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في أهل بيت رسول الله -عليه الصلاة والسلام.

هذا، ونسأل الله -عز وجل- أن يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضى، وأن يرزقنا وإياكم محبة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ومحبة آل بيته الطيبين، ومحبة من أحبه الله ورسوله -عليه الصلاة والسلام. وصلى الله على نبيينا محمد، وعلى آله وصحبه.